

تاريخ الإرسال (2019-04-25)، تاريخ قبول النشر (2019-05-28)

د. نهاد يوسف الثلاثيني

اسم الباحث:

أستاذ مساعد في قسم الحديث الشريف  
بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية -  
بغزة - فلسطين

اسم الجامعة والبلد:

## التطور الاجتماعي في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية تحليلية

\* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: tnehad@iugaza.edu.ps

### الملخص:

تناول الباحث في بحثه الموسوم بـ "التطور الاجتماعي في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية تحليلية" تأصيلاً شرعياً للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات في مجتمعنا الإسلامي، مبيناً الدور الكبير الذي يقع على عاتق الفرد والأسرة في بناء مجتمع حضاري مترابط متطور مواكب لتطور الزمان دون التخلي عن المبادئ والأصول التي نشأ عليها. البحث مقسم إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول: مفهوم التطور الاجتماعي في الإسلام وناقشت فيه حياة العرب قبل الإسلام من الجانب الاجتماعي، ثم عرجت إلى مكانة العرب في الإسلام، وتناولت في المبحث الثاني: دور السنة في أعداد الفرد والمجتمع، تكلمت فيه عن عناية السنة واهتمامها بالفرد المسلم من جوانب عدة ذكرت منها الجانب العقائدي، والتعبدية، والأخلاقي، والاجتماعي، ثم انتقلت إلى إبراز لدور السنة في إعداد المجتمع المسلم، الذي يبدأ من الأسرة المسلمة، التي تعلوها روابط المحبة والتآلف والتآخي، ثم بينت أهمية مبدأ الحرية والمساواة، والعدالة الاجتماعية، وانتهت في هذا المبحث بيان أهمية التكافل الاجتماعي بين الناس وأثره في بناء مجتمع متحضر متميز. أما المبحث الثالث فقد تميز بعرض توجيهات وإرشادات نبوية تناولت الروابط الأسرية الداخلية، كوالدين والأبناء، وتعدت إلى العلاقة بين الجيران والمجتمع عموماً، بينت فيه التوجيهات النبوية المتعلقة بالجانب الإغاثي، والجود والكرم، والتحذير من التحاسد والتباغض والتدابير بين أبناء المجتمع، وانتهت البحث بالمطلب الرابع الذي تناولت فيه تركيز السنة النبوية على المسؤولية الاجتماعية، من خلال التركيز على رب الأسرة، والمجتمع من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخلصت في نهاية البحث إلى النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: التطور الاجتماعي - السنة - دراسة - موضوعية

### Social development in the light of the Prophetic Sunnah - objective and analysed study

#### ABSTRACT:

In his research entitled " Social development in the light of the Prophetic Sunnah - objective and analysed study", the researcher has studied the legalization of the social relations between individuals and groups in our Islamic society, indicating the great role that the individual and the family have in building a civilized society connected to the evolution of time without abandoning the principles and the right methods which had known . The research is divided into four sections. The first topic I have studied the concept of social development in Islam and discussed the life of the Arabs before Islam on the social side, then I have devolved the status of the Arabs in Islam. In the second section I have mentioned: The role of the sunnah in the numbers of the individual and the society, where I spoke about the care of the sunnah and its attention of the Muslim individual from several aspects, including the ideological, social, moral and social aspects. Then I moved to emphasize the role of the sunnah in the preparation of the Muslim community, starting from the Muslim family which is the source of the love, brotherhood and the harmony. Then I have declared the importance of the principle of freedom and equality and social justice. In the conclusion, the importance of social solidarity among people and its effect on the building of a distinct civilized society were mentioned. the third section was characterized by the presentation of guidance of the Prophet with the internal family ties, such as parents and children, and extended to the relationship between neighbors and the community in general which showed the guidance of the prophetic aspects of the relief, the generosity, warning of prejudice, confusion and social interactions between the members of society. In the fourth section, I have finalized the topic which focus the sunnah on social responsibility, focusing on the head of the family, society in terms of the promotion of good and forbidding evil. At the end of the research I have concluded with results and recommendations.

Keywords: Social -Sunnah - analysed study.

**المقدمة :**

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، والصلاة والسلام على النبي الكريم سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد ،،،

فإن الله تعالى تكفل بحفظ الوحي من قرآنٍ وسنةٍ، فقال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة الحجر: 9) وكان حفظ الله تعالى لسنة نبيه ﷺ، أن اختار طائفةً لصفوته، وهداهم لزوم طاعته من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار، فزين قلوبهم بالإيمان، وأنطقهم بالبيان .

فبعد توفيق الله تعالى ومنته، استطاع الباحث أن يلخص موضوع بحثه الموسوم بـ (التطور الاجتماعي في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية)، وهو مستل من أحد فصول رسالة الدكتوراة التي ناقشتها في السودان والموسومة بـ (التطور الحضاري للشعوب في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية) متتوالياً فيه التأصيل الشرعي لتطوير العلاقات الأسرية والروابط الاجتماعية في الدولة المسلمة في الوقت الذي سادت فيه حضارات استعبدت الناس وضلت بهم ضلالاً بعيداً .

فمن خلال هذا البحث تمكن الباحث من الوصول بفضل الله تعالى، إلى إبراز الصورة الناصعة والأصيلة للحضارة الإسلامية، المتعلقة بالعلاقات المجتمعة والروابط الأسرية الأصيلة في عصر صراع الحضارات آنذاك، (الحضارة الفارسية في الشرق والبيزنطية في الغرب) ، كما اجتهد في بيان الدور الفاعل والكبير الذي قامت به السنة النبوية الصحيحة في تغيير كثير من مفاهيم وثقافات وعادات وأطباع، كانت تسود في الجزيرة العربية آنذاك.

**أما النقاط التي تناولتها المقدمة ما يلي:**

**أولاً : أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

1. تستقي هذه الدراسة أهميتها كونها تناقش موضوعاً من أهم الموضوعات المعاصرة، والتي تبرز دور السنة النبوية في ترسيخ الترابط الاجتماعي.
  2. كما تظهر الدراسة القواعد والأسس التي وضعها النبي ﷺ في تربية الفرد والأسرة والمجتمع على الحب والتكافل.
  3. تسهم الدراسة في إبراز مكانة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية على غيرها من المجتمعات والدول من حيث الرقي والتطور الحضاري المجتمعي.
  4. تفتح الدراسة الآفاق للمتخصصين الشرعيين لاستنباط الأصول الشرعية في جميع مناحي الحياة من خلال البحث والاستقصاء في السنة النبوية المطهرة ولأهمية هذه الدراسة ولما وجدته رغبة عندي، آثرت الكتابة في هذا الموضوع.
- ثانياً: سبب اختيار الموضوع:**
1. سباق الحضارات بين دول العالم المتقدمة، والتباهي بمجتمعاتها والادعاء بأن دول الشرق أو الغرب هي الرقي المجتمعات في العالم.
  2. التقاعس الخطير المؤسف لدول العالم الإسلامي، من مواكبة الحضارات، وخوض غمار التطور والإبداع المجتمعي، بجلد الذات والتتكر لدور الإسلام الأصيل، في البناء والتطور الحضاري للمجتمعات.
  3. الغيرة على دولة الإسلام ذات الطابع الحضاري الأصيل، في عصر النبوة والخلافة الراشدة، والتي ستعود بإذن الله لتسلم الريادة على العالم من جديد.

4. الحب والحرص الشديدين، للغوص في أعماق بحر السنة المطهرة، لالتقاط الجواهر المكنونة صانعة المجتمع المتأخي المترابط في عصر النبوة.

**ثالثاً: الدراسات السابقة:** بعد التحري والبحث، لم يقف الباحث على دراسة وافية، تتناول دور السنة النبوية في التطور الاجتماعي، لكن وجد بعضاً منها متناثراً في بطون الكتب، منها ما تناول دور الإسلام في التطور السياسي، ومنها ما تناول الجانب الاقتصادي من زوايا متعددة وكتب أخرى تناولت السرد التاريخي لتطور الحضارات، إلى غير ذلك، ولذلك قام الباحث بجهد متواضع لجمع ما تناثر في بطون هذه الكتب، واستخلاص المحاور والمباحث ذات علاقة بموضوع البحث، والتأصيل لها من السنة النبوية المطهرة، مبيناً الدور الفاعل والكبير الذي قامت به السنة النبوية الصحيحة، في تغيير كثير من المفاهيم وثقافات المتعلقة بالمجتمعات في شتى مجالات الحياة...

**رابعاً: أهداف البحث:** وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. التعرف على الأحاديث النبوية الشريفة التي تتناول قضايا التقدم والتطور الاجتماعي على صعيد الفرد والأسرة.
2. تمييز الصحيح من الضعيف للأحاديث الواردة في تطور الحياة الاجتماعية للمجتمعات.
3. الوقوف على الحقائق والدلائل الثابتة، في أن تطور الشعوب حضارياً واجتماعياً نابع من اقتفاء أثر المصطفى صلى الله عليه وسلم، واتباع سيرته الصحيحة العطرة.

4. إثبات أن تقدم الشعوب غير الإسلامية وتطورها على الصعيد الاجتماعي، مقتبس بشكل كبير من تطور الحضارة الإسلامية في البلاد التي فتحها المسلمون على مر العصور.

**خامساً: منهج البحث وطبيعة العمل فيه.**

يتبع الباحث المنهج الاستقرائي في الاستدلال لمباحث الدراسة، للتعرف على أكثر الأحاديث الواردة في دور السنة النبوية في التطور الاجتماعي مع الاستفادة من المنهج التحليلي في استنباط المعاني والقواعد من النصوص الحديثية التي تشير إلى الموضوع وفق الخطوات الإجرائية التالية:

**1- عزو الآيات لسورها وتوثيقها .**

أوثق الآيات القرآنية في متن الصفحة بعد ذكرها مباشرة.

**2- إيراد الأحاديث وجمعها.**

أ- إيراد الأحاديث الشريفة ذات الصلة بعنوان البحث في كل فصل، ثم الاستدلال بالآيات القرآنية إن وجدت.

ب- الاستدلال لمباحث الدراسة بالأحاديث والنصوص الحديثية، من كتب السنة.

ج- الاستفادة من الخبرات والتجارب المكتسبة من أصحاب التخصص في هذا المجال.

**3- تخريج الأحاديث وتوثيقها.**

1. إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالعزو إليهما مع ذكر الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة والحديث.

ج- أقوم بدراسة الحديث إذا لم يكن في الصحيحين، بدأً بالتخريج، ثم دراسة الإسناد، وبيان درجة الإسناد للحديث.

**4 - خدمة متن الحديث.**

1. التعريف بالبلدان، وبيان ألفاظ غريب الحديث، وضبط الكلمات الغريبة، ووثقه في الحاشية.

2. استنباط المفاهيم والمعاني الاصطلاحية للعلماء الأجلاء والباحثين والمختصين في متن الصفحة.

**7- الدراسة التحليلية.**

أ- أعتد على المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي التحليلي.

- ب- أُبَيِّنَ الأحكام الشرعية المستنبطة من النصوص، المتعلقة بموضوع الرسالة.  
ج- أستعين بالمراجع والمصنفات العلمية، ذات العلاقة لخدمة البحث.  
8- مباحث الدراسة:

**المبحث الأول: مفهوم التطور الاجتماعي في الإسلام.**

**المبحث الثاني:** دور السنة النبوية في إعداد الفرد والمجتمع.

**المبحث الثالث:** دور السنة النبوية في بناء الروابط الاجتماعية.

**المبحث الرابع:** دور السنة النبوية في تطوير المسؤولية الاجتماعية.

**المبحث الأول: مفهوم التطور الاجتماعي في الإسلام.**

لم يقتصر الإسلام على تطوير الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمع بل تعداهما إلى تطوير العلاقات الاجتماعية في المجتمع، فكان الفرد أول حلقة اهتم بها الإسلام، من حيث المظهر والمخبر، والجسد والروح، ثم انتقل للأسرة، التي تعتبر أحد مكونات المجتمع الأساسية، والتي تمثل المظهر الحضاري الاجتماعي للمسلمين، فعزز فيها الأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية العالية، وأسس علاقات اجتماعية نبيلة بين أفراد المجتمع.

فالإسلام يعتبر المنهج الوسطي الممثل لخصوصية الحضارة الإسلامية.. والذي يزكي اجتماع الأمة على الأصول، بمعنى اتفاقها على أن يكون الإسلام هو الهوية والمنطلق، مع إطلاق الحرية في التفكير والتنظيم بصدد الفروع والسبل والوسائل التي يراها كل فريق الطريق الأكثر أمناً وفاعلية في تحقيق روح الشريعة وطبع الحياة الاجتماعية بطابعها. (1)

يقول الإمام محمد أبو زهرة معقلاً على دور الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي بقوله: "إن المجتمع الذي ينظمه الإسلام يحكم بقواعد عامة، وهذه القواعد تبدو في الأسرة وفي الجماعات وفي الدولة، وفي العلاقات الإنسانية بين الناس مهما تختلف ألونهم وأجناسهم وأديانهم، وهذه القواعد تتلخص في المحافظة على الكرامة الإنسانية والعدالة بكل صورها والتعاون العام والمودة والرحمة بالإنسانية والمصلحة ودفع الفساد في هذه الأرض." (2)

**المطلب الأول: الحياة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام.**

لقد منَّ الله تبارك وتعالى على الأمة العربية خاصة، بأن اختار رسولاً منهم يعرفون حسبه ونسبه، صادقاً أميناً على وحي السماء، وما جاءهم من الحق، بلغة عربية فصيحة، تجتمع عليها كل ألسن العرب.

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (آل عمران: 164)

لقد أثبتت كل الروايات التاريخية أن العرب في الجزيرة العربية كانوا قبل الإسلام أمة ممزقة، غلبت عليها النزعة القبلية والعصبية الجاهلية، فكانت الحروب والمنازعات تنشب بينهم لأتفه الأسباب، ولا تتوقف إلا بعد أن تقني الواحدة الأخرى.

(1) انظر: العطاء الحضاري للإسلام، ص: 58.

(2) انظر: أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص: 25.

يقول الإمام محمد أبو زهرة: " الجزيرة العربية أراض واسعة تتخللها الأكام والصحارى، زرعها شحيح، لأن ماءها نادر، وقد تقطعت أوصالها، ولم تكن هناك روابط اجتماعية تجمع شملها وتضم متفرقاتها.. وقد تكون في هذه المجتمعات مزيج من البداوة والحضارة وكان فيها تفاوت اجتماعي خطير.."(3)

لقد جاء الإسلام بشريعة سمحاء رحبة عصماء، ألقت بين قلوب الناس، وغرست فيهم معاني الحب والرحمة، فأصبحت هذه الأمة رائدة، متقدمة على كل الأمم والشعوب بحضارتها الأصيلة القائمة على قواعد الإسلام، التي تدعو إلى الترابط والترحم والتكافل بين أفراد المجتمع.

#### المطلب الثاني: مكانة العرب الاجتماعية في الإسلام.

لقد كانت البعثة النبوية نواة تغيير وتحريك، نحو مجتمع حضاري جديد، جمعت فيه القبائل العربية المتفرقة في الجزيرة، على كلمة سواء، فرصت صفها، ورفعت رايته، وأظهرت على الدين كله عقيدتها، فعمت حضارتها أرجاء الأرض.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فُخَيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَعَّهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوُجْهِينَ، الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءٌ وَهُوَ لَاءٌ وَهُوَ لَاءٌ بِوَجْهِهِ". (4)

أشار الحديث إلى معادن الرجال في المجتمع الحضاري، الذين اجتمعت فيهم صفات الخيرية والإيمان والتقوى، وتخلقوا بالفضائل الحميدة، حتى غدوا صفوة الأمة الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل رفعة هذا الدين، وإعلاء كلمته.

قال النووي: " قَالَ الْقَاضِي يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْإِسْلَامَ كَمَا كَانَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرِهِ مِنْ مَسْلَمَةِ الْفَتْحِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ يَكْرَهُ الْإِسْلَامَ كِرَاهِيَةً شَدِيدَةً لَمَّا دَخَلَ فِيهِ الْأَخْلَصَ وَأَحْبَبَهُ وَجَاهَدَ فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ".(5)

لقد بذل النبي ﷺ جهداً عظيماً في توحيد أمة العرب المتفرقة في الصحراء، على العقيدة، والإيمان، وغرس فيها قيماً وأخلاقاً، وحضارة اجتماعية لم تعرفها البشرية من قبل، فأصبحت خير أمة أخرجت للناس.

يقول جارودي(6): "أما النبي محمد ﷺ لم يكن مجرد نبي وإنما كان أيضاً رجل دولة ومشرعاً وزوجاً، وأباً، وتاجراً، وقاضياً، وقائد حرب، وأخذت الرسالة النبوية أبعاداً جديدة، اشتملت على العلاقات الاجتماعية دون أن تفقد أبعادها الروحية".(7) أما الدكتور علي الخربوطي فقال: " فقد منح الإسلام العناصر المختلفة التي كانت تسكن الأمصار ما تحتاجه من المثل العليا.. وقد منحت هذه المثل العليا أهالي الأمصار مشاعر مشتركة وآمالاً مشتركة، وإيماناً متيناً يندفع به كل واحد من أبنائها بالتضحية بنفسه في سبيل نصرته".(8)

#### المبحث الثاني: دور السنة النبوية في إعداد الفرد والمجتمع.

##### المطلب الأول: دور السنة النبوية في إعداد الفرد المسلم.

(3) انظر: أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص: 11.

(4) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: خيار الناس ح: 2526، (4/1958).

(5) انظر: السبكي، شرح المنهاج، (16/79).

(6) كاتب فرنسي يحمل شهادة الدكتوراه، أعلن إسلامه في المؤسسة الثقافية الإسلامية بمدينة جنيف سنة 1982م. انظر: مقدمة كتاب رجاء جارودي وحضارة الإسلام.

(7) انظر: رجاء جارودي وحضارة الإسلام، ص: 177.

(8) انظر: عوف، عقيرة الحضارة العربية الإسلامية، ص: 85.

الفرد في المجتمع - كما أشرت سابقاً - يعتبر الركيزة الأساسية لصلاح أو فساد المجتمع، ولذلك ركزت السنة النبوية إلى جانب القرآن الكريم في صقل الفرد المسلم، وتربيته على المبادئ والأصول الشرعية، بطريقة متوازنة كفلت معها الانسجام في الحياة بين الروح والجسد، فلم تهتم بجانب على حساب الآخر، ولذلك فإن الدين الإسلامي هو دين الاعتدال والوسطية في كل شيء .

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ." (9) (10)

أثبت الحديث أن الإسلام دين يسر، وأنه لا يُجَارَى ولا يُبَارَى، فمن جاره، تعب وندم، ومن باره غلب وخسر ، لأنه دين يخالغ الفطرة الإنسانية، يهذبها ويوجهها نحو الأصوب والأمثل، ولذلك لا تعارض بين الإسلام والفطرة، فالشخص السوي سرعان ما يستجيب لنداء الفطرة في تركية نفسه وتهذيبها، فيمضي بها نحو أعمال الخير والبر .

يقول ابن رجب: " معنى الحديث النهي عن التشديد في الدين بأن يحمل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم " لن يشاد الدين أحد إلا غلبه " يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه." (11)

فإن اهتمام السنة النبوية بالفرد المسلم، وإعداده إعداداً متميزاً في الجوانب التالية:

أولاً: الإعداد العقائدي.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة أنه قال: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ." (12)

قال ابن حجر: " وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَحْضُلُ لَهُ سَعْدٌ بِشَفَاعَتِهِ لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُخْلِصَ أَكْثَرَ سَعَادَةً بِهَا فَإِنَّهُ صلى الله عليه وسلم يَشْفَعُ فِي الْخَلْقِ لِإِرْحَاتِهِمْ مِنْ هَوْلِ الْمُؤَقَفِ." (13)

فالإنسان مكلف بحكم ما أودع الله فيه من الفطرة، وما ميزه به من العقل، أن يصبغ حياته كلها وفق مقتضى هذه الحقيقة، بحيث يحقق في حياته معنى الطاعة الكاملة لله تعالى، والانقياد التام لأمره، والإذعان لحكمه، فإذا انسجم بكل ملكاته وطاقته مع هذا اليقين، واتجه بصدق وإخلاص نحو هذه الغاية، كان مؤمناً حقاً، والمؤمن الصالح النافع، الذي يحسن إلى نفسه وإلى الناس. (14)

ثانياً: الإعداد على الطاعة والعبادة.

(9) الدَّلْجَةُ: سير السحر. انظر: ابن منظور، (272/2)

(10) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، (39/16/1) .

(11) انظر: ابن رجب، فتح الباري، (139/1).

(12) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث، (99/31/1) .

(13) انظر: العسقلاني، فتح الباري، كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، (1031/194/1) .

(14) انظر: الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص: 234.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يُظهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهُ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا، فَقَاصَتْ عَيْنَاهُ." (15)

فمن فئات من الناس التي تستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ في عبادة الله، وفي رواية في طاعة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، هذان الصنفان من الناس يدلان على تمكن العبادة والطاعة لله من هذين النوعين من الناس، فما وصفا بها إلا لأنهما نشئا على هذه الطاعات.

ثانياً: الإعداد الأخلاقي.

روى الإمام البخاري بسنده عن مسروق، قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا." (16)

فالحديث جامع لكل مكارم الأخلاق وخصاله، وفيه نهى عن الفحش والتفحش.

رابعاً: الإعداد الاجتماعي.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: "إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللهُ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ." (17)

في رواية أخرى قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمُكَلِّيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ." (18)

كلا الحديثين يشيران إلى توجيهات تربوية اجتماعية للأفراد في المجتمع، لبناء مجتمع أخلاقي مترابط ومتعاون تسوده المحبة والأخوة في الله تعالى.

فالمسلم الحر يؤدي حقوق العباد، كاجتهاده في تأدية واجبات الخالق سبحانه وتعالى، فحقوق الناس معلومة في كثير من الأحاديث، وقد أشار الحديثان إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأفراد، وبيان بعض الحقوق المترتبة عليهم تجاه مجتمعاتهم، وقد فصلت الوثيقة الدستورية (الصحيفة) هذه الحقوق والواجبات.

فالسنة النبوية تميزت بعناية تربوية فائقة للفرد في المجتمع، فكانت سياجاً له وحصانة، وحافظت على حقوقه وحمتها من الانتهاكات التي طالتها في المجتمع الجاهلي، كما كانت الروح تحمل الإنسان للتعرف على هذا الوجود، ووظيفته السامية التي

(15) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة باليمين، (1423/111/2).

(16) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، (6035/13/8).

(17) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، (2162/1705/4).

(18) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (1028/1857/4).

كُلف بها، ويقتضي ذلك منه أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصيلة، وفطرته الطيبة النقية، فلا يهبط ولا يسف ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء، بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والانتاج، دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء. (19)

**المطلب الثاني: دور السنة النبوية في إعداد المجتمع المسلم.**

لقد كان اهتمام السنة النبوية بالفرد بداية، لكونه الحلقة الأولى التي ترتبط به بقية الحلقات، فالمجتمع مكون من مجموع الأحياء والمدن، التي تقطنها جموع الأسر، المكونة من الأب والأم والأولاد، ومن هنا كانت العناية النبوية بالأسرة كذلك لبنائها على الصلاح والفضيلة، من منطلق عنايتها بالفرد المسلم وإعداده إعداداً سليماً صحيحاً.

لكن هناك خصوصية للاهتمامات النبوية المتعلقة بالمجتمع الإسلامي أشمل، ميزته عن غيره من المجتمعات، التي تدعي التحضر من خلال:

**أولاً: قواعد تكوين الأسرة المسلمة.**

لقد حض النبي ﷺ المسلمين على الزواج من ذات الدين والخلق، لبناء أسرة مسلمة على الدين والخلق، والتي تعتبر أحد مكونات المجتمع، فالزواج القائم على أصول سليمة ونظيفة، فإن ذلك ينعكس بالإيجاب على المجتمع بشكل عام .

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **تُنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَأظْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ.** (20)

فيه بيان الحث على الزواج من المرأة ذات الدين أولاً، قبل النظر إلى المواصفات الأخرى، وذلك لبناء مجتمع صالح نظيف، كنظافة وصلاح مكوناته.

فالخيرية فيما دلنا عليه القرآن الكريم، ووجهتنا إليه السنة النبوية العطرة، في اختيار الزوج الصالح للفتاة الصالحة، والفتاة الصالحة للزوج الصالح، فإن ذلك أدعى لبناء أسرة على أساس شريف نظيف، آمن من الخيانة والانحراف، يعود على المجتمع بالخير والسعادة، والعلاقات الاجتماعية القائمة على الدين.

**ثانياً: تقرير رابطة الأخوة والمحبة في الله تعالى.**

الأخوة في الله تعالى من أعظم الأسس التي جاء بها القرآن الكريم ودشنته السنة في أوساط المجتمع الإسلامي بعدما نزعنا العصبية القبلية والنزعات الجاهلية من نفوس الصحابة والمجتمع الإسلامي الجديد، ليصبح النموذج الأمثل بين الأمم.

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن شهاب أن سالمًا أخبره: **أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ."** (21)

في الحديث منظومة متكاملة من الأخلاقيات والسلوكيات الاجتماعية يوجهها النبي ﷺ لكافة شرائح المجتمع على حد سواء، وعلى رأس هذه المنظومة: الأخوة، والمحبة، ثم تأتي العدالة لرفع الظلم عن المظلومين، ثم يأتي خلق المشي في حاجة المسلم، ثم المواساة بتفريج الكريات، فلو نظرنا بإمعان وتدبر لهذه الأخلاقيات لوجدناها كلها قيم حضارية اجتماعية جاء بها الإسلام ليحمي المجتمع من الضلال والانحراف الذي عاشه طويلاً زمن الجاهلية الأولى.

(19) انظر: الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص: 234.

(20) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: الاكفاء في الدين، (5090/7/7) .

(21) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب: يمين الرجل لصحابه أنه أخوه.. (6951/22/9) .



فالمجتمع الإسلامي ينبغي أن يقوم على المحبة والإيثار بين أفرادها، الذين تحلوا بالإيمان وتخلقوا بأخلاق رسول الله ﷺ ، فإذا أحببت أحاً لك دون غاية فإنك تؤثره على نفسك وتتحمل في سبيل ذلك الكثير من المشاق لتأمين السعادة له.

ثالثاً: ترسيخ مبدأ الحرية والمساواة الاجتماعية.

الحرية والمساواة الاجتماعية مبدأ ركز عليه الإسلام بشكل كبير، فقد أعطى الإنسان حقه في العيش بكرامة، وحرمة التعرض لحياته أو عرضه أو ماله، إن لم يرفع السلاح في وجه الإسلام، فقد منح النبي ﷺ حرية العيش بأمن وأمان لليهود المدينة، حين أعطوه العهد، بعد توقيعهم على الصحيفة التي كتبها لهم، محذراً إياهم من الغدر والخيانة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ". (22)

بين النبي ﷺ في الحديث خطر الغدر وأنه يأتي يوم القيامة فاضحاً صاحبه على رؤوس الأشهاد، ولا يستطيع التواري عن أعين الناس، حين يرفع لواء الغدر من خلفه ليدل على خسته وسوء أخلاقه التي مارس من خلالها الغدر في الدنيا، وهذا مشعر بأهمية الحفاظ على العهد، والالتزام به مما يؤكد الروح الحضارية التي جاء بها الإسلام ليحافظ على الحرية الاجتماعية من المسلمين وغيرهم من أهل الذمة.

أما في جانب المساواة فإن الإسلام جاء لإلغاء الطبقة المقيتة التي فرقت بين الرجل والمرأة والسيد والعبد والغني والفقير في المجتمع، لأن البشرية كلها مردودها إلى أصل واحد هو آدم عليه السلام الذي خلقه الله بيديه وجعل نسله من ماء مهين. ولذلك ركزت السنة النبوية على اقتلاع هذه العنصرية والنصرة الجاهلية من نفوس الصحابة، في الوقت الذي رفضت فيه العودة إلى التعامل بالأخلاق الاجتماعية المنافية لمعنى الأخوة والحرية في المجتمع الإسلامي الجديد.

روى الإمام البخاري بسنده عن المعزور بن سويد، قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ خُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ خُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ اهْرُؤُ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعْيَبُوهُمْ". (23)

يشير الحديث إلى التربية النبوية الاجتماعية، والإعداد الأخلاقي والأدبي للمجتمع، فقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتحلي بروح الأخوة والحب والمساواة، لذلك استنكر رسول الله ﷺ ذلك على أبي ذر ﷺ فعله، بل وبخه عليه توبيخاً شديداً بقوله: "إنك امرؤ فيك جاهلية" أي بقايا من أخلاق الجاهلية لا زالت فيك يا أبا ذر. وبمعنى آخر إن نعمة التعالي على الناس والتفاخر بالأحساب والأنساب، قد وضعها الإسلام، وجعل الناس سواسية كأسنان المشط، لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وقد نهى الإسلام عن الهمز واللمز والسخرية من الناس، لأنه يؤدي إلى تفكيك المجتمع، وانهيار العلاقات الاجتماعية بين أفرادها، والآيات الدالة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى.

رابعاً: الاهتمام بمبدأ العدالة الاجتماعية.

(22) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، (3/1361/1738).

(23) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية، (1/30/15).

مبدأ لا يمكن أن تستقيم حياة أي المجتمعات بدونه، فالعدل والعدالة في الحكم، وكذلك في التوزيع وفي التوظيف، يوطد حالة الارتياح النفسي والاستقرار الاجتماعي بين الناس، وهذا ما جاء به الإسلام وترجمته السنة النبوية واقعاً مثالياً في المجتمع الإسلامي بعد قيام دولة الإسلام في المدينة.

روى الإمام البخاري بسنده عن عائشة، رضي الله عنها: أن فريشاً أهدمته المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ فقال: "أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب، قال: "يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ، سرقت لقطع محمد يدها". (24)

العدالة الإسلامية المجتمعية واضحة كل الوضوح في إنكار النبي ﷺ على أسامة بن الحنظلي، محاولته الشفاعة للمرأة المخزومية في قضية السرقة، مبيناً ﷺ أن العدل في الحكم مطلب إلهي لا يجوز لبشر أن يتكلم فيه أو يعدل عليه، فقد أعلن النبي ﷺ ذلك بصراحة حين قطع الشك باليقين في قوله: " وإيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ، سرقت لقطع محمد يدها" فالمجتمع الذي لا يحابي ولا يجامل على حساب الشرع، وقيم الحدود ويحكم بالعدل، مجتمع مثالي بلغ من القوة والترابط الاجتماعي ما لم يبلغه أي من تلك المجتمعات التي احتكمت إلى الهوى والضللال.

فباسم الحضارة والتقدم كم ظلمت شعوب وأمم وهي تنادي بأعلى صوتها أيتها الدول أيها العالم إنني مظلومة ضاعت حقوقي، ضاعت أراضي، وهتكت أعراضي، ولكن دون جدوى، أما السلم الذي تنادي به الدول شرقاً وغرباً وتتعد له الهيئات الدولية، لم يسفر إلا عن طغيان الأهواء والمطامع، ولم يرفع ظلماً. (25)

#### خامساً: الاهتمام بترسيخ خلق التكافل الاجتماعي.

لقد ثبتت أن الزكاة والصدقات، وتقديم الخير للناس كان له الأثر الكبير والفاعل في بناء مجتمع مترابط متكافل، قائم على أساس من الحب والإيتار، والسعي لتلبية حاجات المساكين والفقراء، ليعيشوا سعداء كرماء، بين إخوانهم المسلمين من أصحاب الغنى والثراء، في مجتمع إسلامي تميز عن غيره من المجتمعات.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: "من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له"، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل. (26)

أشار الحديث الشريف إلى قاعدة من أهم قواعد العمل الجماعي، وأساس من أهم أسس التكافل الاجتماعي، ليرفع بها المجتمع الإسلامي إلى مستوى القمة بين الأمم، وهي عنوان حضاري لأرقى المفاهيم والمبادئ في الحب والتآخي والتقرب إلى الله، ببذل ما في الوسع لراحة وإسعاد المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، لتوفير حياة كريمة لجميع رعايا الدولة.

وفي هذا السياق يقول أبو زاهد الندوي: " فليمنع الإنسان بهذه القاعدة الإسلامية التي ألهم الله بها رسوله الكريم ﷺ، كيف نجد أن الإسلام يحث على المساعدة بين أفراد مجتمعه حتى لا يبقى محتاج فيه، فقد جعل للفقير حقاً في مال الغني، وأي حق؟

(24) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، (6788/160/8).

(25) انظر: الندوي والحلبي، الحياة الاجتماعية في الإسلام، ص: 196.

(26) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب: استحباب المواساة بفضول المال، (1728/1354/3).

إنه حق لا ينزاع عليه أبداً، وألزم الغني بأدائه، أداءً لا منة فيه، وهذا المقدار من المال الذي جعله الله حقاً للفقير لا يجوز للغني أن يتأخر في إيصاله إلى صاحبه، ولا يحق له أن يتصرف فيه لمصلحة خاصة له، أو لمن ليس له ولا يستحقه، ولو فعل لكان ظالماً لنفسه مع ظلمه لغيره." (27)

يقول سيد قطب: "هو حلقة من حلقات المنهج التربوي الحكيم، في إعداد هذه الجماعة لتكوّن الأمة التي تقود البشرية بتفوقها التربوي والتنظيمي." (28)

الخلاصة: إن الإسلام رفع شأن الفرد والجماعة حين أنزل لهم ما يقوم سلوكهم ويعزز قدرهم بين الأمم والشعوب، فاهتمام الإسلام بالفرد من الناحية الروحية والجسدية بالتوازن والتوسط في الأمور كلها، جعل منه عنصراً حضارياً راقياً على المستوى الشخصي، وعلى مستوى المجتمع الذي يعكس الصورة الحضارية للإسلام.

### المبحث الثالث: دور السنة النبوية في توثيق الروابط الاجتماعية.

لقد ظلت المجتمعات الإسلامية رائدة بحضارتها العريقة دهرًا من الزمن بفضل تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، فكانت القدوة والمثل الأعلى لكل المجتمعات في شتى ميادين الحياة، فأبهرت أصالتها ومثانة عقيدتها أعداء الله الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فذلت رقابهم، وخضعت بلادهم ومجتمعاتهم لحكم الله وشرعه.

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان: "ولا زالت الحضارة الإسلامية المنار الهادي للإنسانية المتخبطة في الظلام، ولا زالت سيادة الإسلام السياسية في العصور الغابرة أغنية الأجيال في كل زمان ومكان.. فأمة الإسلام اليوم لا يمكنها بحال أن تصل إلى ذروة المجد وأن تحمل بيمينها لواء العز والنصر إلا أن تعود إلى هذا التصور الإسلامي المتمثل بالقرآن والسنة فكرياً ومنهجياً وتطبيقاً، تستمد منه معالم الحضارة، وتستوحي من قواعده ومبادئه أسباب الوحدة والسيادة والمجد." (29)

إن صورة المجتمع الإسلامي زمن النبوة والخلافة الراشدة، من أنقى وأرفع الصور التي عرفها التاريخ وكتب عنها بمداد من الذهب، حتى راحت عنواناً حضارياً للباحثين الاجتماعيين والنفسيين، وما كان ذلك ليكون لولا عناية السنة النبوية المطهرة بالفرد والمجتمع وحمايتهما من هوى النفس، ونزغات الشيطان ووسوسته.

يقول أحمد شلبي: "وضع الإسلام قوانين لأتباعه، وقيماً لمعتقيه، ومن بين هذه القوانين وتلك القيم، ما رسمه لحياة اجتماعية تكفل السعادة للمسلمين.." (30)

وقد وجهت السنة النبوية المجتمع بتوجيهات عدة تعزز الترابط الاجتماعي بين الناس منها:

#### المطلب الأول: توطيد الترابط الأسري.

خلية الأسرة في المجتمع مكونة من الوالدين والأبناء، فالترابط بين الوالدين والأبناء في الأسرة حاز على توجهات نبوية واضحة في إطار شرعي لا يمكن للأهواء أو الحالات النفسية أن تتلاعب به وفق ما تريد، فمن هذه التوجهات:

**أولاً: التوجهات النبوية للوالدين.**

(27) انظر: الندوي والحلبي، الحياة الاجتماعية في الإسلام، ص: 173.

(28) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، (758/2).

(29) انظر: الندوي والحلبي، الحياة الاجتماعية في الإسلام، ص: 6.

(30) انظر: الفاتح، الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ص: 308.



يستدل على مكانة الوالد والوالدة عند من خلال تراجم الأبواب الحديث، فقد ترجم له البخاري بحسن الصحبة، ومسلم: ببر الوالدين وأنها أحق به، وهذا يدل على مدى الحرص على أهمية العلاقة الاجتماعية وتربطها داخل الأسرة المسلمة. روى الإمام البخاري بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: "أَحْيِي وَالِدَاكَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ" (36)

من خلال النظر إلى الكتاب الذي اشتمل على هذا الحديث، والأبواب التي أدرج تحتها يمكن القول، بأن بر الوالدين والسهر على راحتها والعمل على إرضائهما وتوفير الحياة الكريمة لهما، فاق الجهاد في سبيل الله في الأجر والمشقة، خاصة إذا كان الولد الوحيد لهما، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى حرص الإسلام على بقاء الترابط الأسري متيناً وقوياً، وأن الأبناء مطالبون بالعمل على حماية هذا الترابط وصيانتها، وتقديمه على الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام. وقد أمنت السنة النبوية في تربية الأولاد على بر الوالدين وطاعتها، وذلك بالحث على زيارة قبورهما، وزيارة أصدقاء الأب وتقديرهم، وتبادل الهدايا والمجاملات، مما يوطد العلاقات الاجتماعية بشكل أكبر بين أفراد المجتمع

روى الإمام مسلم بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "أَبْرُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ" (37) في الحديث إشارة تربوية أصيلة في تمام بر الأبناء للآباء وذلك بالتواصل والإكرام لأصدقاء الوالد. يقول النووي في المنهاج: "وَفِي هَذَا فَضْلُ صَلَّةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِبِرِّ الْأَبِّ وَإِكْرَامِهِ لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ" (38) يقول عبد الله علوان: "إن فضيلة بر الوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية جميعاً، فمن السهل على الولد الذي تربى على البر واحترام الأبوين، أن يتربى على احترام الجار، واحترام الكبير، واحترام المعلم، واحترام الناس جميعاً." (39) وقد وردت في كتاب الله، عدد من الآيات فيه أمر للأبناء ببر الآباء والإحسان إليهما حتى وإن كانا كافرين، وطاعتها إلا في معصية الله تعالى.

#### المطلب الثاني: التوجيهات النبوية لتوطيد العلاقة بين الجيران.

إن أقرب دائرة اجتماعية بعد الأسرة في البيت هي دائرة الجيران سواء أكانوا أقارب أو غير ذلك مسلمين أو كافرين، فقد قرر الإسلام حقوقاً للجيران كفلت لهم حياة آمنة وعلاقات اجتماعية راقية، مشعرة بعظمة الإسلام واحترامه وتقديره للإنسان. روى الإمام البخاري بسنده عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا زَالَ يُوصِيَنِي جَبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ". (40)

المتمعن في هذا الحديث يرى العناية التي أولاها الإسلام للجار، فإن كثرة الوصايا التي نزل بها جبريل عليه السلام، على رسولنا محمد ﷺ والتأكيد عليها، جعلت النبي ﷺ يظن أن جبريل عليه السلام سيوصيه في النهاية بتوريث الجار.

(36) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الجهاد بإذن الوالدين: (3004 / 3/8).

(37) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والآداب، باب: صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، (2552 / 1979/4).

(38) انظر: السبكي، شرح المنهاج، (110/16).

(39) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، (394/1).

(40) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: الوصاية بالجار، (6514 / 10/8).

إن التعامل الحسن، والتواصي، والتراحم بين الجيران في ظل الإسلام، كان من أرقى وأسمى ما شهدته التاريخ على مر العصور والأزمان، فلم تتمتع حضارة قديمة ولا حديثة، بما تتمتع به حضارة الإسلام في رسم المبادئ والأصول الأدبية والأخلاقية والاجتماعية في بناء العلاقات الحسنة الإيجابية مع الجيران.

فقد وردت أحاديث عدة في كتب السنة، تبرز مكانة الجار، وضرورة العناية به، وعدم إيذائه، وتقديم العون والمساعدة له منها على سبيل المثال:

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي شريح (41)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" (42) (43)

يفيد الحديث بشكل قاطع حرمة إيذاء الجار، أو التعدي عليه، فالجار الذي لا يأمن شر أو ظم أو إيذاء جاره، نفى الإسلام أن يكون في قلبه ذرة من إيمان، فالقسم النبوي في الحديث يثبت عدم إيمان من تناول على جاره بالظلم والعدوان واستباح حق الجيرة في الإسلام.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ.. الْحَدِيث" (44)

إن اهتمام السنة النبوية بإيراد عدة أحاديث تنفي الإيمان عن المرء بتجاوز حقوق الجار، أو التعدي عليه بإيذائه، أو الإساءة إليه، لدليل واضح وبيّن على احترام الإسلام وحفاظه على حرمة الجوار أياً كان هذا الجار، وفي هذا سمو وارتقاء بالعلاقة الاجتماعية الحضارية، والتأكيد على توطيدها وتقويتها، واحترامها أصولها ومبادئها في المجتمع المسلم.

لقد ذهب الإسلام وإلى أبعد من الكف عن إيذاء الجار أو الإساءة إليه، فقد أمرت السنة النبوية بالإحسان إلى الجار وإكرامه وتقديم الخير له، وقد جعلت ذلك من تمام الإيمان أو من مكملاته، للوصول إلى مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

كما أوجب الإسلام الإحسان إلى الجار بعد أن حذر ورهب من إيذائه والتعدي على حقوقه، فالإحسان والإكرام وبذل الخير للجار، من أهم العوامل التي تبقي على وحدة وقوة المجتمع المسلم، فالعلاقات الاجتماعية لا تزداد قوة وترابطاً إلا إذا ساد الحب والتفاعل وبذل الخير بين الإخوة المسلمين، وخاصة الجيران الذين يقعون في الدائرة الاجتماعية الأولى في المجتمع بعد الأسرة.

#### المطلب الثالث: التوجيهات النبوية لتوطيد العلاقة في المجتمع الواحد عموماً.

إن أكثر ما يتميز به المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات (الشرقية والغربية) الإحساس الأخلاقي والأدبي تجاه الآخرين، من منطلق عقائدي وديني، وتوجيهي نبوي نحو بناء روابط اجتماعية أساس الفوز برضوان الله وجنانه. فمن الأمثلة: أولاً: إغاثة الملهوف وإعانة ذا الحاجة.

(41) أبو شريح: اسمه خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، روى عن النبي ﷺ أحاديث. وروى أيضاً عن ابن مسعود ﷺ روى عنه نافع بن جبير بن مطعم، وأبو سعيد المقبري، وابنه سعيد بن أبي سعيد، وفضيل والد الحارث، وسفيان بن أبي العوجاء. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين من الهجرة. انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (137/7).

(42) بوائقه: جمع بائقة، أي شره، فقد ورد في رواية الحاكم زيادة: (قالوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ: "شَرُّهُ") انظر: الحاكم، المستدرک (21/1).

(43) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (6016 / 10/8).

(44) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، (6018 / 11/8).

فالتوجهات النبوية كثيرة تلك التي تهدف لمد يد العون للفقراء و المحتاجين من المسلمين وغيرهم، ممن يعيشون تحت مظلة الدولة المسلمة، من باب التكافل الاجتماعي مثاله:

روى الإمام البخاري بسنده عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ" أَوْ قَالَ: "بِالْمَعْرُوفِ" قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "فَيَمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ". (45)

هنا إشارة إلى أهمية المبادرة في تقديم أعمال الخير، وأن المسلم لا يعدم أبواب الخير، فهي كثيرة، منها إغاثة الملهوف وتقديم ما في الوسع للمحتاجين، فهذه الطبقة من المجتمع إن صلح حالها، وشعرت باهتمام الدولة والمجتمع بهم، فسيعم الأمن والأمان إلى جانب والسعادة والرخاء كل ميادين الحياة.

يقول الدكتور شلبي: " يقرر علماء الاجتماع أن أكثر الجرائم التي ترتكب يقوم بها أولئك المحرومون عندما لا يكفكف أحد دموعهم، ويهمل المجتمع حقوقهم، فيصبح هؤلاء أعداء المجتمع، ويتأرون منه بالاعتداء عليه كلما وجدوا سبيلا لذلك". (46) ففي عصر النبوة وما بعده في الخلافة الراشدة، لم تظهر تلك الفواحش والجرائم التي عمت وأغرقت العالم الإسلامي اليوم، عوضاً عن بلاد الكفر، فالمسلمون الأوائل لم يكونوا ليعيشوا لأنفسهم، فقد تربوا في مدرسة النبوة التي علمتهم كيف يعيشون لخدمة دينهم ومجتمعهم، الذي هو طريقهم نحو العلو والسمو، والرضوان في الآخرة. يقول الإمام أبو زهرة: "الإحساس الدقيق بحق الناس، ينبثق عنه نور الحياة، فهو الذي يُشعر الشخص بالحق الاجتماعي، ويشعره أيضاً بالعلو النفسي". (47)

فالسنة النبوية لم تقصر السباق نحو بناء مجتمع متحاب مترابط على الرجال فقط، بل تعداه إلى النساء أيضاً، فقد رويت أحاديث كثيرة، تحث النساء وتشجعهن على التصدق ولو من حليهن، وكثير من الآيات القرآنية جمعت النساء إلى جانب الرجال في الحث والإرشاد إلى التسابق إلى فعل الخير وبناء مجتمع متكافل متعاون.

يقول أبو زاهد الندوي: " التكافل يشمل جميع أفراد المجتمع كل يعلم قدر طاقته، الرجل والمرأة، فتراه حيناً يحث الرجال على البذل والعطاء، وحيناً آخر يحث النساء على الصدقة والبذل ليشاركن الرجال في رصف لبنات هذا النظام الشامخ في تكافله وتماسكه". (48)

ثانياً: بذل الجود والكرم في المجتمع الإسلامي.

الكرم والجود أخلاق وعادات عربية أصيلة، كانت موجودة عند العرب في الجاهلية، فجاء الإسلام ليعززها ويرفع مقامها في المجتمع الإسلامي، لتبقى سمة من سمات حضارة الدولة الإسلامية، التي تعزز الترابط الأخوي، وتوطد العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

(45) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: كل معروف صدقة، (6022 /11/8) .

(46) انظر: الفاتح، الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي ، ص: 313.

(47) انظر: أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص: 181 .

(48) انظر: الندوي والحلي، الحياة الاجتماعية في الإسلام ، ص: 32 .

روى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: "تُطْعَمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ". (49)

في الحديث إفادة ودلالة على اهتمام الإسلام بتأصيل الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة التي كانت تتباهى العرب وتشتهر بها في الجاهلية، كإقراء الضيف، وإطعام الطعام، والنخوة والشجاعة وغيرها من الأخلاق، ولهذا جعل النبي ﷺ الكرم في تقديم الطعام والشراب للناس من باب الضيافة أو الحاجة إليه من أرفع الأعمال وأحسنها، لما لها من وقع طيب على النفس للمطعم والمُطعم على السواء.

"إن الكرم خصلة من الخصال الحميدة التي حث عليها الإسلام وجعلها من كمال الإيمان، حيث به تلتقي القلوب وتتحد على المحبة والأخوة، فالمسلم أينما توجه وسار يجد له أخوة يكرمونه ويرحبون به ويفتحون بيوتهم له، وقد جعل الإسلام الضيافة حقاً للمسلم على أخيه المسلم، وأقلها ثلاثة أيام، وحين يقترن الإكرام والسخاء مع السلام الخالص ترتبط القلوب بروابط قوية وثيقة لا يفرقها إلا الموت.."(50)

ثالثاً: النهي عن التباغض والتحاسد والتدابير.

في الوقت الذي دعا فيه النبي ﷺ أمة الإسلام إلى التراحم والترابط الاجتماعي فقد حذر أشد التحذير من السلوكيات والأخلاقيات السيئة التي تؤثر في وحدة وترابط المجتمع الإسلامي .

روى الإمام البخاري بسنده عن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" (51)

فقد نهى الإسلام عن الأخلاق الذميمة التي تستهدف وحدة المسلمين وعلاقاتهم الاجتماعية، كالحسد والبغضاء والهجران وغيرها.

قال ابن حجر: " الْحَسَدُ تَمَيِّي الشَّخْصِ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ مُسْتَحِقِّ لَهَا أَعْمٌ مِنْ أَنْ يَسْعَى فِي ذَلِكَ أَوْ لَا فَإِنْ سَعَى كَانَ بَاطِلًا، وَإِنْ لَمْ يَسْعَ فِي ذَلِكَ وَلَا أَظْهَرَ وَلَا تَسَبَّبَ فِي تَأْكِيدِ سَبَابِ الْكِرَاهَةِ الَّتِي نُهِيَ الْمُسْلِمُ عَنْهَا فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ نُظَرَ، فَإِنْ كَانَ الْمَانِعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَجْزُ بِحَيْثُ لَوْ تَمَكَّنَ لَفَعَلَ فَهَذَا مَأْرُورٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَانِعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّقُوصُ، فَقَدْ يُعْذَرُ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ، فَيَكْفِيهِ فِي مُجَاهَدَتِهَا أَنْ لَا يَعْمَلَ بِهَا، وَلَا يَغْرَمَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا." (52)

ويقول الغزالي: " إعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوي أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما.. ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسبك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر نفسك من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع." (53)

(49) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام، (12/12/1).

(50) انظر: الفاتح، الحياة الاجتماعية في الإسلام، ص: 233 .

(51) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهي عن التحاسد والتدابير، (6065 /19/8).

(52) انظر: العسقلاني فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (482/10).

(53) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (175/3).



فما لا شك فيه أن هذه الأمراض القلبية وغيرها، التي تغسد الحياة الاجتماعية والأخلاقية بين الناس، قد حاربها الإسلام بقوة، واستخدم أساليب متنوعة في محاربتها والقضاء عليها، فكانت أقوى الأسلحة التي فتكت بهذه الأخلاقيات هي العملية التربوية والتثنية الأخلاقية التي تعلمها.

رابعاً: التحذير من الكذب وقول الزور.

إن آفة الكذب من أخطر الآفات وأشدّها فتكاً بالمجتمعات، فإنها إن تفشت في قوم زجت بهم إلى الجور والفجور، ولا شك أن الكذب وقول الزور يتنافيان مع حقيقة الإيمان، لأنهما أصلان من أصول النفاق والرياء.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى النِّبْرِ، وَإِنَّ النِّبْرَ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا." (54)

في الحديث إشارة إلى فضل الصدق ومكانة الصادقين عند الله تعالى (الجنة) كما فيه تحذير وترهيب من الكذب، لأنه طريق الفجور الذي محله النار والعياذ بالله، فالكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو خصلة بارزة من خصال المنافقين الذين يتسترون بالدين، ويضمرون الحقد والكراهية والعداوة للمسلمين.

المطلب الرابع: دور السنة النبوية بالتركيز على المسؤولية الاجتماعية.

إن المجتمع الإسلامي الذي تسوده روح التعاون والتكافل، يتمتع أفراده بروح المبادرة والمسؤولية تجاه الآخرين، وهذا يعزز مبدأ الترابط والتلاحم بين أفراد الأسرة الواحدة من جهة، وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى.

وللسنة النبوية الدور المؤثر والفاعل في توجيه الفرد وتحمله المسؤولية تجاه أسرته، والمجتمع الذي يعيش فيه، ويتجلى هذا الدور في الفروع التالية:

الفرع الأول: التركيز على رب الأسرة وتحمله مسؤولية أهل بيته خاصة.

لقد سبق الحديث عن الدور الكبير والهام الذي تلعبه الأسرة المسلمة في بناء مجتمع حضاري متميز، انطلاقاً من الأصول التربوية التي نشأت عليها الأسرة، وتحمل الرجل الذي يسوس أسرته، المسؤولية الكاملة عن بيته وأسرته.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ؓ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَغْلَاةٌ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ." (55)

يشير الحديث إلى العناية والاهتمام بالنساء - زوجات وبنات وأخوات - ممن حرموا من حقوقهن في الجاهلية، غير المعاملة السيئة التي كانت تعامل بها المرأة قبل الإسلام، ولذلك جاء الإسلام وأنصف المرأة وفرض لها حقوقاً، كما أوجب عليها واجبات تجاه زوجها وبيتها وأبناءها، كما يدل الحديث على أهمية الرفق بالمرأة، حال التوجيه والإرشاد والتقويم، والصبر على سلوكها غير المرضي، لأنها مخلوقة من ضلع أعوج، أي في خلقهن اعوجاجاً في أصل الخلقة، كما في الحديث.

قال ابن حجر: "وَالْوَصِيَّةُ بِالنِّسَاءِ أَكْدُ لِضَعْفِهِنَّ، وَاحْتِيَاجِهِنَّ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِنَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَقْبَلُوا وَصِيَّتِي فِيهِنَّ، وَأَعْمَلُوا بِهَا، وَارْفُقُوا بِهِنَّ، وَأَحْسِنُوا عَشْرَتَهُنَّ.. وَفَائِدَةٌ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ فَلَا يَنْكُرُ اعْوَجَاجُهَا أَوْ الْإِشَارَةَ إِلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ النَّقِيمَ.." (56)

(54) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (2607/2013/4).

(55) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (3331/133/4).

(56) انظر: العسقلاني، فتح الباري، (368/6).

فالمجتمع الذي يرفع المرأة إلى مرتبة الإكرام والاحترام، وتقديمها على أنها إنسان له من الحقوق والالتزامات في بناء المجتمع ما للرجل، مجتمع حضاري راقٍ، رسخ الإسلام أصوله ومعالمه النبيلة، بالرغم من الطبيعة التي خلقت عليها المرأة. فالآية الكريمة توصي بالرفقة والرحمة بالنساء، بالرغم من صعوبة الوصول إلى إرضائهن، لكن جعل الله المغفرة والرحمة في الآخرة، ثواب من اتقى الله فيهن.

### الفرع الثاني: تحميل المجتمع مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تقع على جهة بعينها، إنما هي مسئولية يتحملها كل أفراد المجتمع، فالرجل يتحمل مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل أسرته، والعلماء والخطباء يتحملون مسئولية هذا الأمر في قراهم ومدنهم، والدولة تتحمل المسئولية الكاملة للقيام بهذا الواجب على أكمل وجه، بما آتاه الله من القوة والسلطة على الناس. روى الإمام البخاري بسنده عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال عمر رضي الله عنه: أَيْكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ، فَكَيْفَ؟ قَالَ: قُلْتُ: " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ وَالْمَغْرُوفُ، قَالَ سُلَيْمَانُ: قَدْ كَانَ يَقُولُ: الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. " (57)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالإضافة إلى الصلاة، الصدقة مكفرت لما يبئلى به الرجل في ماله وأهل بيته، فشان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحدة من الأعمال التي يعظم الله أجر فاعلها، كالصلاة والصدقة، لما فيه من الخير والفائدة التي تعم أفراد المجتمع.

يقول الدكتور محمد عمارة: " إذا مالت كفة التوازن الاجتماعي، ومن ثم السياسي والفكري لطبقة على حساب الأخرى، فإن التدافع هو سبيلنا إلى إعادة التوازن بين الطبقات، استهدافاً لمجتمع الأمة، ودولة الأمة، لا مجتمع الطبقة ودولة الطبقة، فلحظة التوازن الاجتماعي هي المثال والهدف، لأنها الوسط الذي تتمثل فيه وسطية الإسلام.. أي عدالة الإسلام. " (58)

روى الإمام مسلم بسنده عن طارق بن شهاب - وهذا حديث أبي بكر - قال: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعِزَّهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ. " (59)

يشير الحديث إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن هذا الأمر من متطلبات الإيمان، فمن لم يستطع إنكار المنكر بقلبه على الأقل فإن قلبه فارغ من الإيمان كما في نص الحديث. يقول النووي: " وَقَدْ تَطَابَقَ عَلَى وَجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ وَهُوَ أَيْضًا مِنَ النَّصِيحَةِ الَّتِي هِيَ الدِّينُ. " (60)

لقد ثبت أن خيرية هذه الأمة تكمن في قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفرد والجماعة، والرئيس والمرؤوس، مكلفون بهذا الواجب الشرعي، على خلاف بني إسرائيل الذين كانوا لا يتناهون عن المنكرات والفواحش، ولا تتمعر وجوههم لهذه الفواحش، لذلك لعنهم الله وغضب عليهم، وأعد لهم عذاباً أليماً.

(57) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة تكفر الخطيئة، (1435 / 113/2).

(58) انظر: العطاء الحضاري للإسلام، ص: 47.

(59) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (49 / 69/1).

(60) انظر: السبكي الإبهاج في شرح المنهاج، (22/2).

## الفرع الثالث: تحميل المجتمع الأمانة ووجوب والوفاء بها.

إن واجب الأمانة، يقع على عاتق جميع أفراد المجتمع، فهو ركن أصيل من أركان الترابط الاجتماعي وتماسك بنيته، فظهور الأمانة والوفاء بها بين أفراد المجتمع، خلق حضاري ثابت، قامت عليه دولة الإسلام، والسنة النبوية زاخرة بهذا الخلق الذي شيد مجتمعاً حضارياً تفخر به الأجيال المسلمة على مر العصور.

روى الإمام البخاري بسنده عن زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حُدَيْفَةَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فَفَرَّغُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السَّنَةِ." (61)

إن الأمانة شيء عظيم، وهي من أرفع الأخلاق التي جاء بها الإسلام، وهي خصلة من خصال الإيمان، ونقيضها الخيانة التي هي خصلة من خصال النفاق، فالمجتمع المسلم بكل مكوناته، مطالب بالحفاظ على الأمانة، والتعامل بها في جميع مناحي الحياة، لأنها إذا ضيعت الأمانة، واستهتر الناس بهذا الواجب الأخلاقي، فإن حال الناس أصبح في خطر، وأمر الساعة بات على وشك.

روى الإمام البخاري بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: "أَيْنَ - أَرَأُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ" قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: "إِذَا وَبَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ." (62)

فقد أشار الحديث إلى أهمية الأمانة ودورها في المجتمع، وأن الوفاء بها أو ضياعها مرهون بمدى صلاح وفساد المجتمع، وأن صلاح المجتمع وفساده مرهون بصلاح أو فساد الراعي، فالخليفة هو المسئول الأول عن رعاية هذا الواجب الشرعي وفرضه في أوساط المجتمع، ليبقى مجتمعاً رائداً في علاقاته الاجتماعية والأخلاقية، ونموذجاً حضارياً متميزاً بين الأمم والشعوب. والمعنى العام للأمانة: ما نهى الشرع عن فعله من نواهي، وما أمر بفعله من أوامر، وقبول تلك الأوامر والنواهي بشروطها كما وضحتها الشريعة، فإذا التزم المسلم بذلك فقد أتيب، وإذا خالف فسيعاقب.

أما المعنى الخاص: فهي حفظ الأمر أو الشيء وعدم تضييعه أو خيانتته، وهي كل ما يجب على الإنسان حفظه كحقوق الآخرين، ولهذا المعنى العديد من الصور وأهمها:

حفظ الحقوق المالية الثابتة بعقود، كالقروض، والودائع، أو التي تكون بدون عقود كاللقطة؛ وتعني أموال الناس الضائعة. حفظ أسرار وأخبار الناس. إسناد المسؤوليات إلى أصحابها، فالحاكم المسئول يجب أن يعدل ويقيم حدود الله في رعيته، وأن يضع الشخص المناسب في المكان المناسب لإقامة دين الله وأوامره.

## أهم النتائج والتوصيات:

1. أبرزت السنة النبوية صورة مثالية ونمطاً حضارياً راقياً، يتعلق بالعلاقات الاجتماعية في المجتمع، ورفعت فيه الناس إلى مستوى الحياة الكريمة ينشدها كل شخص حر غيور.

(61) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (92/9 / 7276).

(62) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: من سئل علماً وهو مشغول في حديثه.. (59 / 21/1).

2. أصلت السنة النبوية قواعد ومبادئ أساسية تستهدف بناء المجتمع على أساس التكافل والتحابب واحترام الآخر.
3. عناية الإسلام والسنة النبوية والمطهرة بالفرد أولاً، من خلال وضع منهاج أصيل يقوم على الأخلاق الحميدة، والسلوكيات الإيجابية البناءة.
4. اهتمام النبي ﷺ بشكل خاص بالأسرة والتكوين الأسري، لما في ذلك من عظيم الأهمية في التأثير في المجتمع وصبغه بالصبغة التي تنشأ عليها الأسرة في إطار شرعي نزيه ونظيف.
5. لقد ثبت أن خيرية هذه الأمة تكمن في قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفرد والجماعة، والرئيس والمرؤوس، مكلفون بهذا الواجب الشرعي.
6. إن أفة الكذب من أخطر الآفات التي تقتك بالمجتمعات، فإنها إن تقشت في قوم هوت بهم إلى الجور والفجور، فالكذب وقول الزور يتنافيان مع حقيقة الإيمان، لأنهما أصلان من أصول النفاق والرياء.
7. عناية السنة النبوية واهتمامها بعنصر بالنساء - زوجات وبنات وأخوات - ممن حرّموا من حقوقهن في الجاهلية، فجاء الإسلام منصفاً المرأة وفارصاً لها حقوقاً تضمن لها العيش الكريم بشرف وعفة وطهارة.
8. ومن التوصيات التي يمكن تلخيصها في هذا السياق، أن الانبهار بحضارة الشرق الملحدة الوثنية، أو الغرب الكافرة الكاثوليكية هو مجرد طمس للحقيقة، وغلو في المباهاة لهذه الحضارات المزيفة، كما هو عمى عميق أصاب القلوب المريضة، قبل أن يصيب العيون التي أغوتها زينة الحياة الدنيا وعرها بالله الغرور والعياذ بالله.
9. إذا كان المجتمع المسلم يتطلع إلى حضارة أصيلة، يباهي بها المجتمعات الكافرة، فعليه بالكتاب والسنة النبوية المطهرة، فإنها البلمس لكل الأمراض الاجتماعية الفتاكة، التي أصابت كبد الأمة الإسلامية، فحرفتها عن أصلاتها الحضارية المشرقة، التي عمت أرجاء الأرض قروناً من الزمان.
10. أوصي الأخوة الباحثين والمهتمين والكتاب بتسليط الضوء على حضارة الإسلام من الناحية الاجتماعية خاصة، من خلال البحث والتتقيب عن الأسس والقواعد التي أصلها الإسلام في هذا المجال، ونشرها بشكل حضاري على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، لإبراز الجانب المشرق للحياة الاجتماعية الأصيلة.

### المراجع

- أبو زهرة، الإمام محمد (1990) تنظيم الإسلام للمجتمع. (د.د. ط). القاهرة - مطبعة دار الفكر العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. (المعروف بصحيح البخاري)، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، (د.م)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- تنظيم الإسلام للمجتمع. (د.ن)، (د.ط).
- جمال الدين ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل الأنصاري، 1414هـ، لسان العرب الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، النيسابوري. (1411هـ)، المستدرک علی الصحیحین. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت - دار الكتب العلمية.

- الحنبلي، ابن رجب. (1996 م) ..فتح الباري في شرح صحيح البخاري. الطبعة الأولى، (د.م) مكتبة دار الغرباء الأثرية.
- الخطيب، عمر عودة. (1425هـ-2004م) لمحات في الثقافة الإسلامية. الطبعة: الخامسة عشرة، (د.م) مؤسسة الرسالة.
- د.الفتاح، حسن قريب الله. (2001م) الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامي. (د.ط)، مصر - مطبعة الأمانة .
- د.القرضاوي، يوسف. (1995م) الإسلام وحضارة الغد، الطبعة الأولى، القاهرة - مطبعة المدني .
- رجاء جارودي، (د.ت) حضارة الإسلام، (د.ن)، (د.ط).
- السبكي وولده تاج الدين، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى وأبو نصر. (د.ت) الإبهاج في شرح المنهاج، (منهاج الوصول إلي علم الأصول للقااضي البيضاوي المتوفي سنة 785هـ)) ، (د.ط). بيروت - دار الكتب العلمية.
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ). في ظلال القرآن. (د.ت)، (د.ط). بيروت- القاهرة - دار الشروق.
- عبقريّة الحضارة العربية الإسلامية، (د.ن)، (د.ط).
- العسقلاني، أحمد بن عل بن محمد بن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة. (د.ت) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت- دار الكتب العلمية.
- العطاء الحضاري للإسلام، (د.ت)، (د.ن)، (د.ط).
- علوان، عبد الله. (د.ت)، تربية الأولاد في الإسلام. الطبعة الثانية، بيروت- مطبعة دار السلام.
- الغزالي، أبو حامد. (د.ت) إحياء علوم الدين. (د.ط)، بيروت- دار المعرفة.
- الندوي والحلي، أبو زاهد وعبد الوهاب. الحياة الاجتماعية في الإسلام. (1982م)، (د.ط)، (د.م) مطبعة القادر برنت.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (د.ت)، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط). بيروت- دار إحياء التراث العربي.